

كثيرين أن أتحدث عن هذين الكتابين منفصلين. ومع أن اليهود يؤكّدون هذا الانفصال ويؤمنون به لأنهم يرفضون المسيحية أساساً، فإن المسيحيين منذ عهودهم الأولى يربطون الكتابين ربطاً عضوياً من منطلق أن الإنجيل بالنسبة لهم متمم للتوراة وأنه بدون الكتاب اليهودي المقدس لم يكن لوجود شيء اسمه المسيحية.

إن التوراة جزء لا يتجزأ ولا ينفصل من الثقافة الغربية ولا يمكن أن يتصور أي مثقف غربي وجوده ثقافياً بدون التوراة مثلما أنه لا يتصور ثقافته بدون الإنجيل وأنا هنا أتكلم عن الثقافة وليس عن الإيمان والمعتقد، فالدين مكون رئيس وجوهري من مكونات الثقافة يتأثر به الناس حتى وإن لم يؤمنوا به. ولعل أكبر نموذج في التاريخ الحديث لهذا التجذر الثقافي المسيحي في التوراة هو نشوء كيان كالولايات المتحدة الأمريكية، فأمريكا التي اكتشفها كريستوفر كولومبس في نهاية القرن الخامس عشر الميلادي لم تلبث حتى أصبحت في مطلع القرن السابع عشر محط هجرات دينية عديدة من إنجلترا ثم من باقي الدول الأوروبية. ومن المعروف تاريخياً أن «المتطهرين» أو البيوريتان، وهم الجماعة الدينية التي افتتحت الهجرة إلى العالم الجديد، ذهبوا إلى القارة الجديدة حاملين معهم ليس إنجيلهم فقط، وإنما التوراة أيضاً التي أمدتهم بأهم النماذج التي حاولوا تجسيدها في رحيلهم واستيطانهم. فبينما ذهب كولومبس للكشف والتوسع السياسي والاقتصادي، ذهب أولئك المتطهرون وفي أذهانهم إرث أسطوري رأوا أن الكشف الجغرافي لم يأت إلا ليحيله حقيقة ماثلة للعيان. الاضطهاد الديني الذي كان وراء رحيلهم عن إنجلترا والذي نتج عن تصادمهم مع المؤسسة الكنسية الإنجليزية التي رفضت مطالبهم بالعودة إلى بروتستانتية متقشفة، ذلك الاضطهاد سرعان ما تحول في خيالهم إلى ملحمة مقدسة من ملاحم التيه والأسر التي تتوج في ختامها بالخلاص والنعيم فوق الأرض الموعودة. لقد رأى المتطهرون الأوائل، الذين يعرفون في التاريخ الأمريكي أيضاً بالآباء الحجاج، رأوا في رحيلهم إلى أمريكا وما عانوه قبل الذهاب وفي أثناءه وبعده استعادة حياة لما عاشه من قبلهم العبرانيون الذين تروي التوراة تعرضهم للأسر وضياعهم وذلك كمعبر لهم إلى أرض كنعان وإقامة مملكة إسرائيل.

إن تمثل المتطهرين للنموذج العبراني ينبع في واقع الأمر من المنهج الرمزي